

تفسير البحر المحيط

@ 446 وأجاز الزمخشري أن يكون على حذف المضاف ، أي على كل ذي قلب متكبر ، يجعل
الصفة لصاحب القلب . انتهى ، ولا ضرورة تدعو إلى اعتقاد الحذف . وقرأ باقي السبعة : قلب
متكبر بالإضافة ، والمضاف فيه العام عام ، فلزم عموم متكبر جبار . وقال مقاتل : المتكبر
: المعاند في تعظيم أمره ، والجبار المسلط على خلقه . .
{ وَفَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا * يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا } ، أقوال فرعون :
ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى * مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى * فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ
ابْنِ لِي صَرْحًا } ، حيدة عن محاجة موسى ، ورجوع إلى أشياء لا تصح ، وذلك كله لما
خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة ، والتعرف أن هلاكه وهلاك قومه على يد موسى ، وأن
قدرته عجزت عن التأثير في موسى ، هذا على كثرة سفكه الدماء . وتقدم الكلام في الصرح في
سورة القصص فأغنى عن إعادته . قال السدي : الأسباب : الطرق . وقال قتادة : الأبواب ؛
وقيل : عنى لعله يجد ، مع قربه من السماء ، سبباً يتعلق به ، وما أداك إلى شيء فهو سبب
، وأبهم أولاً الأسباب ، ثم أبدل منها ما أوضحها . والإيضاح بعد الإبهام يفيد تفخيم الشيء
، إذ في الإبهام تشويق للمراد ، وتعجب من المقصود ، ثم بالتوضيح يحصل المقصود ويتعين .
وقرأ الجمهور : فأطلع رفعاً ، عطفاً على أبلغ ، فكلاهما مترجي . وقرأ الأعرج ، وأبو حيوة
، وزيد بن علي ، والزعفراني ، وابن مقسم ، وحفص : فأطلع ، بنصب العين . وقال أبو
القاسم بن جبار ، وابن عطية : على جواب التمني . وقال الزمخشري : على جواب الترجي ،
تشبيهاً للترجي بالتمني . انتهى . وقد فرق النحاة بين التمني والترجي ، فذكروا أن
التمني يكون في الممكن والممتنع ، والترجي يكون في الممكن . وبلوغ أسباب السموات غير
ممكن ، لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويهاً على سامعيه . وأما النصب بعد
الفاء في جواب الترجي فشيء أجازته الكوفيون ومنعه البصريون ، واحتج الكوفيون بهذه
القراءة وبقراءة عاصم ، فتنفعه الذكرى في سورة عبس ، إذ هو جواب الترجي في قوله :
لَعَلَّاهُ * يُزَكِّي * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } . وقد تأولنا ذلك على
أن يكون عطفاً على التوهم ، لأن خبر لعل كثيراً جاء مقروناً بأن في النظم كثيراً ، وفي
النثر قليلاً . فمن نصب ، توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبراً كان منصوباً بأن ، والعطف
على التوهم كثير ، وإن كان لا ينقاس ، لكن إن وقع شيء وأمكن تخريجه عليه خرج ، وأما هنا
، فأطلع ، فقد جعله بعضهم جواباً للأمر ، وهو قوله : { ابْنِ لِي صَرْحًا } ، كما قال
الشاعر : % (يا ناق سيري عنقا فسيحا % .

إلى سليمان فنستريحا .

%) .

ولما قال : { فَأَطَّطَ لِعَلِّإِلَى إِيَّاهِ مُوسَى } ، كان ذلك إقراراً بإله موسى ،
فاستدرك هذا الإقرار بقوله : { وَإِنِّي لَأَطُّنُّهُ كَذِباً } : أي في ادعاء الإلهية ،
كما قال في القصص : { لَسَعَلَّى أَطَّطَّ لِعَلِّإِلَى إِيَّاهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَطُّنُّهُ مِنْ
الْكَذِبِينَ } . { وَكَذَلِكَ } أي مثل ذلك التزيين في إيهام فرعون أنه يطلع إلى إله
موسى . { زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ } . وقرأ الجمهور : { زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
{ مبنياً للمفعول ؛ وقرء : زين مبنياً للفاعل . وقرأ الجمهور : { وَصُدَّ } مبنياً
للفاعل : أي وصد فرعون ؛ والكوفيون : بضم الصاد مناسباً لزين مبنياً للمفعول ؛ وابن
وثاب : بكسر الصاد ، أصله صدد ، نقلت الحركة إلى الصاد بعد توهم حذفها ؛ وابن إسحاق ،
وعبد الرحمن بن أبي بكر ، بفتح الصاد وضم الدال ، منونة عطفاً على { سُوءَ عَمَلِهِ }
 . والتباب : الخسران ، خسر ملكه في الدنيا فيها بالغرق ، وفي الآخرة بخلود النار ،
وتكرر وعظ المؤمن إثر كلام فرعون بندائه قومه مرتين ، متبعاً كل نداء بما فيه زجر
واتعاط لو وجد من يقبل ، وأمر هنا باتباعه لأن يهديهم سبيل الرشاد . وقرأ معاذ بن جبل :
بشد الشين ، وتقدم الكلام على ذلك . والرد على من جعل هذه القراءة في كلام فرعون ، وأجمل
أولاً في قوله : { سَبِيلَ الرَّشَادِ } ، وهو سبيل الإيمان بالله واتباع شرعه . ثم فسر ،
فافتح بدم الدنيا وبصغر شأنها ، وأنها متاع زائل ، هي ومن تمتع بها ، وأن الآخرة هي
دار القرار التي لا انفكاك منها ، إما إلى جنة ، وإما إلى نار . وكذلك قال : { مَنْ
عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } . وقرأ أبو رجاء ، وشيبة ، والأعمش ،
والإخوان ،